حضور المشهد القرآني في قصيدة النثر
(العبور الى الجانب نفسه لسراج محمد انموذجاً)

م.د. جابر حسين جبر
jjh60431@gmail.com

الملخص:

شكّلت قصائد(سراج محمد) عالماً فنياً روحياً خالصاً، تؤطره ذاته المليئة برؤيا الابداع الشعري، واستمرارية البحث المستمر عن الشعور الانساني الدقيق، في تفاعله مع العالم المحيط به، بوصفه واقعاً مؤثراً له سلطته المتحكمة الحاكمة بالفرد والمجتمع، لاسيما تلك التي ترتبط بالمقدس والموروث من نصوص او أخبار، فهذه توجه النص في دلالات جديدة متوافقة مع الواقع المعاصر ذاتياً واجتماعياً عبر حضورها الذهني الذي استقرت فيه، كبؤرة مركزية للحدث الشعري في دلالته الجديدة، والشاهد القرآني آلية شعرية استند عليها الشاعر في نصوصه التي حفلت بها مجموعته الشعرية الموسومة بـ (العبور الى الجانب نفسه).

الكلمات المفتاحية: (المشهد القرآني، قصيدة النثر).

The presence of the Qur'anic scene in the prose poem
(Crossing to the same side as Siraj Muhammad as an example)

Dr. Jaber Hussein Jabr

Abstract:

Siraj Muhammad's poems formed a purely spiritual artistic world, framed by his self, which is filled with the vision of poetic creativity, and the continuity of the constant search for the precise human feeling, in his interaction with the world surrounding him, as an influential reality with its controlling authority governing the individual and society, especially those that are linked to the sacred and inherited from Texts or news, these direct the text into new connotations compatible with contemporary reality, both

internally and socially, through its mental presence in which it has settled, as a central focus for the poetic event in its new connotation, and the Qur'anic witness is a poetic mechanism upon which the poet relied in his texts, which were filled with his poetry collection entitled (Crossing to same side).

Keywords: (Qur'anic scene, prose poem).

المقدمة:

تشكل قصائد(سراج محمد) عالماً فنياً روحياً خالصاً، تؤطره ذاته المكتنزة برؤيا الابداع الشعري، وديمومة البحث المستمر عن حيثيات الشعور الانساني الدقيق، في تفاعله مع العالم المحيط به، بوصفه واقعاً مؤثراً له سلطته المتحكمة الحاكمة بالفرد والمجتمع، وعلى وفق هذا تبدو وتتجلى مظاهر النزاع عند الشاعر ما بين الروحي والمادي كردة فعل صارخة تحاول بصاحبها الافلات من قيود الواقع بصوره المؤسساتية المتنوعة، وميراثها الممتد في اللاشعور والوعي، وفي الوقت عينه محاولة هروب ذاتية تبسط اجنحتها الى عوالم سامية أرحب وأكثر جمالاً وأبعث طمأنينة وسلاماً وأقصى نفوراً من المادي المتشكل أمام عينيه، عبر آلية اللغة وأدواتها التعبيرية والدلالية والصورية التي تمنح النص طاقة تعبيرية واسعة، وحيوية ونشاطاً لا يفتران عن التواصل مع المتلقي وشحذ عاطفته، وقدراته الذهنية والادراكية في آلية تواصل دلالية ومعرفية أساسها الحمولات العقلية الذهنية، لاسيما تلك التي ترتبط بالمقدس والموروث من نصوص او أخبار، فهذه توجه النص في دلالات جديدة متماسة مع الواقع المعاصر ذاتياً واجتماعياً عبر حضورها الذهني الذي استقرت فيه، كبؤرة مركزية للحدث الشعري في دلالته الجديدة، والشاهد القرآني آلية شعرية اتكأ عليها الشاعر في نصوصه التي حفلت بها مجموعته الشعرية الموسومة بـ (العبور الى الجانب نفسه)، فبهذه الآلية يتخذ الاكتنازات الذهنية القارة للمقدس النصي في الروح والعقل وسيلة عبور لدلالات مفتوحة يسيرة،

هي في حد ذاتها صراعه الروحي مع الوجود وقيوده، والمجتمع والمؤسسة وضغوطاتهما على الفرد الانسان، إنّه خلق دلالي مرتكزاته سلطة النص المقدس في معناه العام او المؤوّل، بوصفه حجة لتبرير النفور عن الواقع، او إدانة صارخة له عبر مواجهاته بالقوة الكامنة الذهنية لها بما لا ينكر او لا يرد او يدحض.

المبحث الأول

حضور المشهد القرآني في النص الشعري

يسعى الشاعر بصورة عامة الى توظيف الأثر القرآني في شعره على مستوى المفردة، والتركيب والفكرة والاشارة والقصة، من اجل الكشف عن الدلالات الجديدة الناتجة عن ذلك التوظيف، لتتبين للمتلقي عبر ذلك ثقافة الشاعر الدينية عامة، والقرآنية خاصة، وكيف استثمر ذلك كلّه في بيان تجربته الشعرية وإثراء نصه الشعري في تداخل نصوصي مثير يكشف عن سعة الاطلاع وقدرة التوظيف والاستنتاج، إذ يعد((القرآن من أهم المصادر التي يستقي منها الشاعر المسلم معانيه وتراكيبه، فهو المعين الذي لا ينضب فصاحة، وبلاغة، وبياناً، يلجأ إليه المبدعون للرقي بإبداعاتهم شكلاً ومضموناً)) [١].

فالتقنية المشهدية الحديثة للنصوص القرآنية تكشف عن بعض ملامح علاقة الشاعر بالتراث عامة وبالتراث المقدس المتمثل بالقرآن خاصة، وهي علاقة تقوم على المحاورة والتجاوز والتعامل بفعالية واضحة تعيد انتاج الحدث، والقول القرآني متحرر من قيودها الدينية وسياقاتها المعرفية وشروطها التاريخية وخاضعة لمنطق آخر هو منطق الشعر الرامي الى تقديم رؤاه وإثارة المتلقي عبر الانزياح الذي يطمح اليه الشعراء عبر تحرير المتلقي من ربقة النمطية ليقاوم التلقي الآلي الروتيني للوجود فيخلقون الدهشة التي تدفعه ليكون أكثر وعياً بالحياة والناس والأشياء في نماذج شعرية معاصرة، عبر خطاباً يكشف علل الراهن العربي المأزوم، وتحاكمه وتطمح الى تغييره بالكلمة والموقف والرؤية تبعاً لقدرة الشاعر على إسقاط النص المرجعي على الواقع المعيش ضمن التجربة

النصية الطامحة الى التفرد والاستقلال، والنازعة الى التعبير الشامل عن موقف الشاعر من الراهن ووعيه بتفاصيله على المستويات الشخصية والوطنية والقومية وأبعاده السياسية والاجتماعية والفكرية، الأمر الذي جعل من الخطاب الشعري ملتقى للأزمنة، وميداناً للحياة المعاصرة بتناقضاتها وصراعاتها[٢].

ويستغل الشعراء دائماً –لاسيما المعاصرون منهم– حضور المشهد القرآني بوصفه طاقة تعبيرية صادمة، توازي تلك الصدمة التي أوقعها القرآن الكريم ذاته في النفوس والعقول كآلية تغيير وإعادة بناء للعقل الفكري العربي، في رؤية كونية جديدة مثالية البناء، قادرة على رد اسئلة الوجود بصورة حتمية قاطعة، فهو ديمومة ذائقة وفكر جديدان، وتلقٍ مبدع خلاّق مستمد من براعة المقدّس وسلطته الدلالية والجمالية المطلقة، فما أحدثه القرآن الكريم من انقلاب في القيم الموجهة للفرد والمجتمع روحياً وجمالياً وهي ذاتها التي يصدر عنها الشعر، كانت متكأ الشاعر المعاصر في الانطلاق نحو دفع الراكد والساكن والقار في الذهن او السلوك بإيحاءات وصور ذات دلالات مفتوحة مستمدة من النص المقدس في سلطته المطلقة[٣].

والنص الشعري على هذا يرتفع بقصدية الخطاب المستند للقرآن والشاهد القرآني الى مرتبة الصدق، والبعد عن الإيهام والخيال المعروف فيه، وصولاً الى مطابقة الحقيقة لحظة عملية الابداع الشعري عبر فضاءات وآفاق مفتوحة من الدلالات عن طريق آلية تواصل لغوي مرجعيتها النص القرآني، وبهذا لا تحدث الفجوة مع النص الانساني المكتوب شعراً ولا تغلفه عوامل الانغلاق والغموض والايهام والتعمية والعزلة والإلغاء[٤].

إنّ مقاربة أثر القصة القرآنية او الحادث القرآني في الشعر العربي الحديث هو بوابة الوعي بحتمية الأثر القرآني موضوعياً وفنياً ومرجعية رؤية وتشكيلاً، ومبلغ الصـــدق الفني والتصوير[٥]، لأن القصة القرآنية والحدث القرآني يقعان((في دائرة المقدس المسلّم بصحته، الى جانب الفنية العالية، والشكل الفريد)) [٦].

فالحدث القرآني وسيلة شعرية هامة، فبه يعمق الشاعر فكرته، ويبني رؤيته بناءً مدعوماً بالمرجعية الدينية التي لا تقبل الطعن والشك، في تواصله مع المتلقين عبر مفردات وعيهم الروحي والمعرفي، فإذا هو يتحكم بعناق مفرداته الشعرية، ودلالاتها الرمزية المعاصرة المبتغاة على حساب محمولاتها المقدسة من اجل إثارة الدهشة والتأثير وإيماناً بصدق التجربة وانعكاساها المباشر من الحياة الى النص، فيبدو الحدث القرآني معها والنص وقد تشابكا من أجل تشكيل الرؤى الشعرية وما فيها من ثيمات ورموز يتم توظيفها لخدمة المعنى المنتج من رؤى الشاعر الخاصة، وفضاءات التأويل بما يحقق حرية نص الخطاب الشعري ويجعل من المتلقي مجالاً الى عوالم مفتوحة بعيداً عن واحدية الرؤية والدلالة والتفسير المغلق للواقع المعاصر وأحداثه(٧).

إن عودة الشاعر الى التراث الذي يمثل جذور لاوعي مغروس فيه واستثمار ما فيه من رموز هو تفجير لإمكانيات اللغة لحظة التعبير الشعري المكثف العميق الواعي، فهنا تحديداً تتكئ التجربة الشعرية على ثوابت الذاكرة الجمعية وعلاقتها بالوعي العام، فالتجربة الشعرية وفق هذا بناء رؤى راسخ محاط بالفنية والموضوعية والشرعية بعد إعادة صياغة للنص المقدس المتناص منه وبما يلائم رؤية الشاعر وموقفه بما يحقق عمقها التعبيري وثراء قولية خطابها، ورفدها بنص عظيم له سلطته البلاغية القاهرة المؤثرة في الوعي والوجدان، استثماراً للمعطيات الروحية والنفسية لدى المتلقي مما يساعد على قبول النص بوصفه خطاباً حجاجياً، وتحدث له المقبولية في التفسير والتأويل(٨).

إن علاقة الشاعر بالتراث والموروث الديني ((هي علاقة استيعاب وتفهم وادراك واعٍ للمعنى الانساني والتاريخي للتراث وليست بحالٍ من الاحوال علاقة تأثر صرف))(٩)، فالموروث الديني هو جزء من التراث بما يشكل هذا الموروث من عنصر ((ثقافي وفكري وديني وادبي وفني فهو التركة الفكرية والروحية التي تجمع العرب على مشترك بينهم لتجعل من جميعهم خلفاً لسلف))(١٠)، وترى الدراسة من خلال ما تقدم ودراستها لشعر سراج محمد أنه وظّف ثقافاته المتنوعة في نتاجه الأدبي بعملية مزج وتداخل بينه وبين الموروث الثقافي أثناء نقل التجربة الشعرية وظروفها المحيطة بها في

عملية استحضار واعية للتراث واستعماله رمزاً تعبيرياً عن الحوادث والظروف واشكالياتها لحظة القول الشعري مادامت عملية توظيف التراث في النص الأدبي، هي إعادة انتاج له بما يشكل نوعاً من التوالد والتداخل والتعالق والتعاضد تحقيقاً للتفاعل أو التأثير في المتلقي وإثارة للدهشة الجمالية والروحية عنده.

ومن هنا وتحت هذه الموارد راح الشاعر سراج محمد يتكأ على مضامين القرآن الكريم مع الافادة من التقنيات الأسلوبية اقتباساً وتلميحاً بما يثري نصه الشعري ويزيد من دلالته وجمال صياغته وتأثيره في المتلقي.

المبحث الثاني

حضور المشهد القرآني في مجموعة(العبور الى الجانب الآخر)

حفلت قصائد المجموعة الشعرية (العبور الى الجانب نفسه) للشاعر سراج محمد بنصيب وافر من حضور المشهد القرآني اقتباساً وتناصاً في دلالة واعية عميقة من الشاعر بتراثه الديني وانفتاح على دلالات معاصرة واسعة تتخذ من النص القرآني وسيلة عبور وقبول ورضوخ عند المتلقي، فمن ذلك الحضور ما جاء في قصيدته الموسومة بـ (ذكريات لأحداث قد تحصل) قال فيها[١١]:

بين يومٍ

وليلةٍ

وضحاها

صرتُ ندا

وعاشقا، وإلها

جئتُ من بئرٍ

موقناً

أنَّ ذئباً سوف يأتي

مستأثراً بدلالها

وسينأى عن أخوةٍ

خلّفوني

في أبيهم

كغصّةٍ تتماهى

لم أجدني مدوّناً في الأضاحي

غيرَ ناي

وسائسٍ ومُداها

صاغنا الربُّ واحداً

واصطفاني للعذارى

وقال لي: كُنْ سواها

رغم أنّي قَبِلتُ إذْ راودتني

فأنا كنتُ روحها

لا فتاها

ما وجدنا خطأً تليقُ بتيهٍ

فابتكرناكَ نقطةً

واتجاها

لم تعد تملكُ الكؤوس فراغاً

فالجراحاتُ لا يعَينَ المياها

يتكئ الشاعر سراج محمد في هذا المقطع من قصيدته في تناص مدهش على سورة يوسف وفي حدثين منها: الأول منهما: حادثة البئر والذئب كما في قوله تعالى:﴿ **قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا**

نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [١٢] والثاني: نحو قوله تعالى: **﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾** [١٣].

وهو عبر هذا التناص للحدث القرآني يحاول أن يمنح نفسه الفرادة والتمايز عن الآخرين، كما انماز يوسف(عليه السلام) في حادثتي: البئر مع أخوته، وحادثة مراودة زليخة، ويحاول كذلك أن يمنح نفسه المصداقية المتحصلة من مصداقية يوسف(عليه السلام)) في الحادثتين مستغلاً طاقة النص القرآني العاطفية والشعورية وقبوله الحتمي عند المتلقي في كونه نصاً لا يحتمل الخطأ او الشك او الإيهام، فهو صادر من الله سبحانه وتعالى، وعلى وفق هذا يحمّل الشاعر نصه النثري هذا دلالات خارجة من رحم النص القرآني في التفرد والخصومة والندية والحبّ والعزلة في مواجهة التهميش الاجتماعي والسياسي المحيط به، ومواجهة التيه الذي تغوص به ذاته، إذ يصرح الشاعر بذلك بقوله: (لم أجدني مدوناً في الأضاحي)، فالعيش ضمن جماعة من غير وعي او تفرد إنما هو ضياع وتيه ولابد من مواجهته بالخصومة والضدية والمقاومة عبر أيقونة التمايز عن الآخرين، والخروج عن القطيع عبر صرخة رافضة للراكد الساكن المعيش في خضوع تام لمؤسسة بكافة مستوياتها والانقلاب عليها بذات واعية، وهذا ما نجده عبر:

بين يومٍ

وليلةٍ

وضحاها

صرتُ ندا

وقوله :

واصطفاني للعذارى

وقال لي: كُنْ سواها

وقوله :

فابتكرناكَ نقطةً

واتجاها

ومن تمثلات الحادثة القرآنية وأثرها في شعر (سراج محمد) ما جاء في قصيدته(إخطار لمالك بن الريب)[١٤]،

يقول فيها[١٥]:

بتُّ عُمْراً

يا مالكٌ في غضاها

لم تلُحْ لي نجومُها

والقِلاصُ

غيرَ حربٍ

تركت فيها دروعي

فبها القولٌ غالني

لا الرصاصُ

فهي أنثى أصيلةٌ

والجميلاتُ برأيي

جميعهنّ تناص

كم لكم في دمائنا

من حياةٍ

وعلينا حدودكم

والقصاصُ

والحيارى المعذّبون كثيرٌ

أوهمتهم ذواتهم

والخلاصُ، لشخوصٍ مناوئينَ

يتناص الشاعر في هذا النص مع الموروث الحكائي العربي وتراثه وشخوصه، متخذاً من شخصية الشاعر(مالك بن الريب) مداراً له، فضلاً عن الموروث المقدس للنص القرآني في ألفاظ (حياة، وحدودكم، والقصاص)، أما (مالك بن الريب) فالشاعر يوجه له اخطاراً، والخاطرة((ما يخطر بالقلب من أمر أو رأي أو معنى))[١٦]، فهو نوع من أنواع التراسل الواقع تحت تأثير الحدس الناجم من تأثير قصيدة مالك بن الريب المعروفة المشهورة التي يرثي بها نفسه قبل موته ومطلعها[١٧]:

ألا ليتَ شعري هل أبيتَنَّ ليلةً

بجنبِ الغضا أُزْجي القلاصَ النَّواحيا

عبر هذا التناص يمازج الشاعر ذاته المتقدة المنفعلة بفعل الحاضر المأزوم بذات مالك بن الريب الشجاعة المحاربة الرافضة للمجموع واللّاوعي الساكن في الأفراد، محاولاً تقمص هذه الشخصية في صعلكتها ونشاطها وبأسها، فضلاً عمّا رسمه ابن الريب للحقيقة التي تراود الشاعر، ((الحقيقة التي يحس بها المرء وهو يقابل المأساة، ويشعر بالنهاية، ويتلمس أبعاد الحياة التي لابد لها من النهاية المحتومة، وهي حقيقة يشوبها الخوف، ويتناثر في ثناياها التفكير المؤلم، ويتراءى بين زواياها اليأس المحض))[١٨].

وعلى وفق هذا تتمظهر مفردات التناص القرآني قائمة على الحدث ذي التأثير الجزائي المقترن بالعاقبة والمحصلة النهائية، إذ تضمحل شخصية الشاعر حدّ الحيرة والعذاب في مواجهة فارس شجاع فتاك شذّ عن طوق الجماعة بشخصيته المتفردة، وهو العاجز المتكيء على التراث، غير القادر على احداث التغيير، فشخصية ابن الريب اقترنت بمفردات تناصية قرآنية عبر محاورة اخطار نكوصية، وهذا ما صرّح به (سراج محمد) بقوله:

كم لكم في دمائنا

من حياةٍ

وعلينا حدودكم

والقصاصُ.

فالحدّ والقصاصُ مآل الشاعر البائس، أما شخصية (مالك بن الريب) المتقدة في الذهن عبر الوعي بالموروث ودلالات شخوصه.

وفي قصيدته(مخاض) يأخذنا الشاعر الى حادثة قرآنية أخرى، تتمثل في قصة مريم(عليها السلام) ومخاضها عند ولادة المسيح عيسى بن مريم(عليه السلام)، إذ قال فيها[١٩]:

ما كان وحياً

لقد خانوا وقد كذبوا

ماذا تهزّين؟

لا جذعٌ ولا رطبٌ

ماذا تهزين، هزّتْ خصرها طربا

فاساقطَ التينُ

والنارنجُ

والعنبُ

قالتْ: أهزُّ جميع الماسكينَ يدي

ليسقط الناسُ والأهلونَ والتعبُ

حتى أطيحَ بأيامي لتنجبّها

عمراً جديداً الى ما شئت ينتسبُ

لا تقترف بيننا بُعداً وأمكنةً

كي لا أخونكَ فيها حين تقتربُ

ففي هذا النص الشعري يتناص الشاعر مع مشهد قرآني من سورة مريم في قوله تعالى:

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[٢٠]

ولعلّ الشاعر عبر التناص القرآني هذا يركز بشدة على دور الفعل والحركة في إحداث التغيير، وهذا ما يفسر عنونة النص بـ(مخاض)، فالفعل (هزّي) كان محور التأثير المشهدي القرآني في نص(مخاض) الباذخ بالحركة والدفع والابعاد عبر(ماذا تهزين، وهزّت خصرها، واسّاقط، وأهزُّ، وليسقط، وأطيحَ، وبعداً وأمكنة)، فالفعل الحركي (هزّي) في سورة مريم إنما هو سلوك بتوجه نفسي وعاطفي عبر إرادة شحذه الهمة التي تحوّل عبر فعل الهز النخلة اليابسة الى مثمرة جنية، والتحول من ترك التعلق بالأسباب الى ممارسة فعل المؤثر المنتج[٢١].

وعلى وفق هذا يحدث الترابط الدلالي المقصود بين النص القرآني ومبتغى الشاعر، فبالحركة وحدها يحدث التغيير، وعبر فعل المخاض تأتي الولادة الجديدة، وما بين الرطب والطرب وجناسهما يكون النتاج واحداً في تحريك الساكن الراكد والوصول الى اليقين الذي(ما كان وحياً) وهنا يتبدل الواقع المأساوي المحيط بالشاعر، ويتساقط الراقدون به، والراضون عنه، والمقيمون فيه، وينفرهم الشاعر بعيداً من اجل تحقيق إرادته وذاته في أن يطيح بعالم قاهر نحو حريته الخاصة وعمر جديد ينتسب اليه فقط بعيداً عن الجميع.

وفي قصيدته(لا عدّادات للغرقى في الأنهر) قال الشاعر[٢٢]:

إنْ كان غرقاكَ فاقوا رتبةَ النَّهرِ

فليسَ من حكمةِ الأنهارِ أنْ تجري

وليس للوطنِ المنهوبِ ملءَ يَدٍ

إذا تعذَّر رتقُ الجيبِ من عذرِ

.....

من فرطِ ما غابَ عني ظلَّ كالبدرِ

وراحَ ينأى قريباً وهو يسألني

عن سورة الناس[٢٣] والإخلاص[٢٤] والقدْرِ[٢٥]

عن ذلك الفجرِ[٢٦] والتنزيلُ يأكلُنا

وعن ليالٍ قضيناها معاً عَشْرِ

عن أخوةٍ دفعوا في عزلتي ثمناً

وخلفوني افتراضاً دونما ظَهْرِ

يرثي الشاعر زميلاً له متخذاً من الرثاء وسيلة ينفد عبرها الى التنكيل بالمجموع من عامة الناس، إذ يبدو الشخص المُرثى وقد أحاطه الشاعر بميزة الخصوصية والتفرد عن العموم في وطنٍ يتحكم به الطغاة قتلاً ونهباً وظلماً، فلا يجد الشاعر إلاّ الشاهد القرآني سبيلاً يتناص معه، وصولاً لهذه الدلالة، فيحشد لأجل ذلك مجموعة من اسماء السور القرآنية يهزّ عبرها العقل والنفس في عاطفة قرآنية دافقة لا يسع المتلقي معها إلا الإذعان والإقرار لحجته وإقناعاته وإشهاراته في بؤرة دلالية مركزية تستل من عنوانات السور القرآنية متضادات دلالية ما بين الاستعاذة من الناس وشرورهم ووسواسهم الذي دعامته العجز وبين مفردات الاخلاص وما فيه من روح الايمان والوحدة والجماعة، والقَدرْ وما فيها من سلام وطمأنينة، والفجر وما فيه من دلالات الصفاء ولاسيما مع وجود النديم المقترن بروح الجماعة، والشاعر في كل هذا يركز تركيزاً خاصاً على دلالة الفرقة والوحدة، والوفاق والغدر، والانتماء والنفور، إذ تتشكل صورة الجماعة ملازمة للخيانة والطرد والعزلة، ولاسيما في قول الشاعر:

عن أخوةٍ دفعوا في عزلتي ثمناً

وخلفوني افتراضاً دونما ظَهْرِ

أما في قصيدته(طفلٌ بأرذلِ العمر)، فيقدم لنا(سراج محمد) احتجاجاً صارخاً بوجه المتخاذلين ممن باعوا الوطن عبر تناص قرآني خلاّق، اذ قال[٢٧]:

أنا الرجلُ الذي قد جاء من أقصى المدينةِ

جئتهم متأخرا

فوجدتُ أنَّ المرسلين تخاذلوا

قبضوا الأجور مقدّماً ومؤخراً

والله ينزلُ كلَّ موتٍ للعراقِ

يسيرُ في أرجائهِ مُتنكراً

يتفقدُ الموتى الصغارَ ململماً

ألعابهم ما عادَ ربّاً مُضمرا

يعمد الشاعر الى سورة(يس) وقوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ**﴾[٢٨]، فهذا الرجل المذكور في الآية والذي اتكأ عليه الشاعر في تناصه((اسمه حبيب النجار فهو من الصالحين المصلحين بشهادة القرآن))[٢٩]، وحبيب النجار أو مؤمن آل ياسين، كان قد آمن بالرسول ودفع عنه القتل والتنكيل، فلما سمع قومه إيمانه والدفاع عن الرسول وطئوه بأرجلهم ورجموه بالحجارة حتى قتلوه فأدخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق، فهو في الجنة ولا يموت إلا بفناء الدنيا وهلاك الجنة وذلك ثواباً وجزاءً لإيمانه ودفاعه عن عقيدته[٣٠].

أراد الشاعر(سراج محمد) عبر شخصية حبيب النجار ورمزيته في العقيدة الصحيحة والايمان بها والدفاع عنها وما في حادثة قتله من امضاء أمر الله والثبات عليه دليلاً تراثياً قرآنياً يمنح نصه دلالة معاصرة تقع في إطار ثيمة التنبيه والارشاد والتوعية بالواقع المزري الذي يحيط بوطنه العراق، دافعاً المتلقي الى احضار هذه الشخصية ومقوماتها العقائدية لرفض هذا الواقع المعاصر ونبذه والثورة عليه، إذ يفقد الشاعر ايمانه بقادة البلد الذي باعوه وقبضوا ثمن بيعه، فإذا هو واقع بين ظلم وفقر

وجهل وقتل وتشريد وضياع، إنه تناص ينطلق من الخاص المتمثل بذات الشاعر المتلبسة فعلاً وقولاً بشخصية(حبيب النجار) وصولاً الى المتلقي ومحاولة وكزه وتنبيهه، إذ يعمل النص القرآني في الحالة هذه كيقين وشاهد حق لا يمكن نكرانه او رفضه او العبور عليه، فيجعله الشاعر حقيقة وأنموذجاً للاقتداء به.

وفي قصيدته(قصةُ خلقِ مَنْ أهوى)، تتراكم التناصات القرآنية ويبرز الحدث القرآني فعلاً دلالياً يوجه الواقع المعاصر، إذ قال الشاعر فيه[٣١]:

وجنّاتٍ عراض[٣٢]

وسبعٌ فوق أضلعها

طباقُ[٣٣]

وأصواتُ العذاب

تضجُّ منها

كأنّ الناسَ من خصرٍ تساقُ[٣٤]

كأنّ اللهَ كورها[٣٥] لتبدي

تمايلها

كآنيةٍ تراقُ

وما دامَ العراقُ به نساء

فلا هدأتْ

ولا هدأ العراقُ

يلحظ في هذا النص الشعري التوأمة الدلالية ما بين عنوانه(قصة خلق مَنْ أهوى) وهي قصة خلق اختيارية حددتها ذات الشاعر، وبين النصوص القرآنية المتناص معها، فهي نصو لها علاقة وثيقة بالخلق والتكوين للسماوات والارض، اذ حددت لفظة(كوّرها) الأساس لهذا المعنى المرتجى عند

الشاعر الذي يحاول خلق عالم انثوي خاص به يتسلل عبره ليحدث التغيير والثورة بفعل الجسد الأنثوي وفاعليته الشهوانية التي تحرك الجسد الذكوري الفحولي وتخرجه من سباته وركوده وسكونه، فالعراق والمرأة عند سراج محمد متلازمتان، لكنها المرأة التي خلقها هو، واختارها هو، كبداية جديدة اهتزازية، تقود الناس بقوة ودون عقل منهم للتغيير كما تساق الناس يوم الحشر الى مساقها جبراً وعنوة.

الخاتمة:

يتمثل الحدث القرآني وتناصاته في قصائد(سراج محمد) ومجموعته الشعرية (العبور الى الجانب نفسه) كمحاولة واعية منه للتغيير، إذ يقدم الشاعر نفسه كأداة واعية بالتراث وشخوصه، والنص المقدس وأحداثه ومعانيه، حتى تمثل التناص بالشاهد والحدث القرآني آلية مهمة عنده، ولأجل هذا نجدها شاخصة وبقوة بأغلب قصائد هذه المجموعة كمحاولة منه لفرض المقدس الذي لا ينكر ولا يرفض عند المتلقي ، ولأجل نبذ الواقع البائس ومواجهة المعاصر الفاسد وتفعيل الراكد الساكن، فالشاهد والحدث القرآني آلية فاعلة في الثورة والدعوة الى التغيير وإقامة واقع آخر موازٍ للواقع المعاصر، ولو كان ذلك شعراً، وإن المجموعة الشعرية هذه ثورة فكرية تحاول إحداث هزّة عقلية وروحية ونفسية، وسيلتها اللغة الشعرية وتناصاتها القرآنية.

الهوامش:

١ – الأثر القرآني في شعر ابن جابر الاندلسي، احمد بن عيضة الثقفي، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، المجلد ٤، العدد ٢: ١٨١.

٢ – ينظر: أثر القصة القرآنية في الشعر العربي الحديث، حسن مطلب المجالي: ١٦٩–١٧٠.

٣ – ينظر: الشاعر والتراث– دراسة في علاقة الشاعر العربي بالتراث، مدحت الجيّار، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، (د.ت): ١٢٠–١٢١.

٤ – ينظر: حداثة السؤال، محمد بنيس، المركز الثقافي العربي، المغرب، (د.ت): ٩٧.

٥ – ينظر: أثر القصة القرآنية في الشعر العربي الحديث، حسن مطلب الجمالي، اطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الاردنية، ٢٠٠٩م: ١٨-١٩.

٦ – المصدر نفسه: ١٩-٢٠.

٧ – ينظر: الشاعر والتراث- دراسة في علاقة الشاعر العربي بالتراث، مدحت الجيّار:١٢٢.

٨ – ينظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط٨، بيروت، ١٩٨٣م: ١٤٤.

٩- الشعر العربي المعاصر – قضاياه وظواهره الفنية، عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي، ط٣، بيروت، (د.ت): ٣٠.

١٠- التراث والحداثة، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٠: ٢٣.

١١ – العبور الى الجانب نفسه، سراج محمد، منشورات اتحاد الادباء، ط١، ٢٠٢١: ٢١-٢٢.

١٢ يوسف: ١٧

١٣ يوسف: ٢٣.

١٤ – مالك بن الريب بن حوْط بن قُرط بن حسل بن ربيعة بن كابية، وكنيته أبو عُقية، نشأ في بادية بني تميم بالبصرة، تزعم طائفة من اللصوص متخذاً منهم فئة تمارس نشاطها، فخضعوا لنظامه واندفعوا لتحقيق رغباتهم عبر هذا النشاط، فلم يقتصر هذا الفعل على بادية بني تميم وحدها وإنما امتد حتى وصل مكة وأطرافها، وكان مالك لصاً فتاكاً وظريفاً أديباً، من أجمل العرب جمالاً، وأبينهم بياناً، وأحسنهم ثيابا، صاحب حرب، شجاع في الوغى، لا يهاب تفاقم الحوادث، ينظر: ديوان مالك بن الريب حياته وشعره، تح: نوري حمودي القيسي، بحث ، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد ١٥، ج١، (د.ت): ٥٣-٦١.

١٥ – العبور الى الجانب نفسه: ٢٥.

١٦- المعجم الوسيط، المجمع العلمي القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٨م: ٢٤٣؛ مادة: خَطَرَ.

١٧ – ديوان مالك بن الريب: ٨٨.

١٨ – المصدر نفسه: ٦٤.

١٩ – العبور الى الجانب نفسه: ٢٧.

٢٠ – مريم: ٢٣، ٢٤، ٢٥.

٢١ – ينظر: الدلالة النفسية في سورة مريم، عقيل عكموش عبد، مجلة القادسية في الاداب والعلوم التربوية، العددان ٣-٤، المجلد ٦، ٢٠٠٧م: ٨١-٨٢.

٢٢ – العبور الى الجانب نفسه: ٣١.

٢٣ – اشارة الى قوله تعالى: ((قل اعوذ برب الناس، ملك الناس، اله الناس، من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس)). سورة الفلق

٢٤ – اشارة الى قوله تعالى: ((قل هو الله احد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد)). سورة الاخلاص.

٢٥ – اشارة الى قوله تعالى: ((إنا انزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر.... حتى مطلع الفجر)). سورة القدر.

٢٦ – اشارة الى قوله تعالى: ((والفجر، وليالٍ عشر)): الفجر: ١-٢.

٢٧ – العبور الى الجانب نفسه: ٣٥-٣٦.

٢٨ – يس : ٢٠.

٢٩ – التفسير المبين، محمد جواد مغنية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨٣م: ٥٨٠.

٣٠ – ينظر: بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، (د.ت): ٢٠٤/٦٤.

٣١ – العبور الى الجانب نفسه: ٣٥٤٨-٤٩.

٣٢ – اشارة الى قوله تعالى: ((وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين)). ال عمران: ١٣٣.

٣٣ – اشارة الى قوله تعالى: ((ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنّا عن الخلقِ غافلين)) المؤمنون: ١٧.

٣٤ – اشارة الى قوله تعالى: ((والتفت الساق بالساق الى ربّك يومئذ المساق)) القيامة: ٢٩-٣٠.

٣٥ – اشارة الى قوله تعالى: ((إذا الشمس كوّرت)): التكوير: ١.

المصادر:

١. الأثر القرآني في شعر ابن جابر الاندلسي، احمد بن عيضة الثقفي، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، المجلد ٤، العدد ٢.

٢. أثر القصة القرآنية في الشعر العربي الحديث، حسن مطلب الجمالي، اطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الاردنية، ٢٠٠٩م.

٣. بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، (د.ت).

٤. التراث والحداثة، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٠.

٥. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط٨، بيروت، ١٩٨٣م.

٦. التفسير المبين، محمد جواد مغنية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨٣م.

٧. حداثة السؤال، محمد بنيس، المركز الثقافي العربي، المغرب، (د.ت).

٨. الدلالة النفسية في سورة مريم، عقيل عكموش عبد، مجلة القادسية في الاداب والعلوم التربوية، العددان ٣-٤، المجلد ٦، ٢٠٠٧م.

٩. ديوان مالك بن الريب حياته وشعره، تح: نوري حمودي القيسي، بحث ، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد ١٥، ج١، (د.ت):.

١٠. الشاعر والتراث- دراسة في علاقة الشاعر العربي بالتراث، مدحت الجيّار، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، (د.ت).

١١. الشعر العربي المعاصر – قضاياه وظواهره الفنية، عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي، ط٣، بيروت، (د.ت).

١٢. العبور الى الجانب نفسه، سراج محمد، منشورات اتحاد الادباء، ط١، ٢٠٢١.

١٣. المعجم الوسيط، المجمع العلمي القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٨م.